"التغيير" تواصل نشر ملخص كتاب عن ابن سلمان والسلطة (2)

التغيير

تستكمل "التغيير"، نشر مقتطفات صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية، لأهم ما جاء في كتاب "إم بي إس: صعود محمد بن سلمان إلى السلطة"، الذي ألفه بن هوبارد مدير مكتب الصحيفة في بيروت، ونشره قبل أسابيع.

وأثار الكتاب ضجة كبيرة عند نشره، نظرا لأهمية الكتاب، ولاحتوائه على معلومات مثيرة عن صعود محمد بن سلمان من الظل إلى السلطة.

وفيما يأتي الحلقة الثانية من هذه المقتطفات كما:

على مدى عدة أيام، قام مسؤولون في الديوان الملكي وعناصر من جهاز البوليس السري بإلقاء القبض على المئات من الشخصيات الأوسع ثراء والأقوى نفوذاً في مملكة آل سعود بما في ذلك عدد من أقارب محمد بن

سلمان من أعضاء العائلة الملكية، بل شملت قائمة المعتقلين حتى بعضاً ممن حضروا حفل زفافه. جردوا جميعاً من هواتفهم الخلوية ومن حراسهم وسائقيهم وحبسوا داخل فندق ريتز كارلتون الرياض، مما حول مقر مؤتمر الاستثمار الفاخر إلى سجن من خمسة نجوم. أذن ذلك الحدث بولوج مملكة آل سعود نحو مستقبل من نوع جديد، يشتمل على أكثر من مجرد روبوتات وقيادة النساء للسيارات.

قالت الحكومة إن الاعتقالات كانت جزءاً من حملة ضد الفساد، فلقي ذلك ترحيباً من كثير من السعوديين الذين طالما أبصروا الأمراء ورجال الأعمال وهم يستغلون نفوذهم للوصول إلى العقود المربحة أو يدبرون الخطط للاستحواذ على الثروة من مخصصات الحكومة المالية. وفعلاً، كان بعض من حبسوا داخل الريتز من أسوأ الضالعين في مثل هذه الانتهاكات.

لكن بعض من اشتهروا بالفساد بقوا أحراراً، بما في ذلك بعض أبناء أشقاء الملك سلمان وأقربهم إليه، مما أثار الشكوك حول الأهداف الحقيقية من الحملة. وثمة أوجه غرابة أخرى لما جرى، إذ تم الإعلان عن اللجنة التي تناط بها مهمة التحقيق بينما كانت الاعتقالات تجري. يترأس هذه اللجنة محمد بن سلمان، والذي لم تخضع مصادر ثروته الخاصة لأي تحقيق. أولم ينفق ابن سلمان نفسه ما يقرب من نصف مليار دولار على قارب؟ وماذا عن قصره الفرنسي الذي وصفته بعض المجلات بالقول إنه "أغلى بيت في العالم"؟ وبعد ذلك، قام مشتر بالوكالة، يقال إنه كان يتصرف نيابة عن محمد بن سلمان، بإنفاق 450.3 مليون دولار على لوحة للفنان ليوناردو دافينشي. فمن أين جاء كل ذلك المال؟

قيل للمعتقلين في الريتز بأنهم ضيوف على الملك، إلا أن الطريقة التي عوملوا بها لم تدل إطلاقاً على ذلك. ومع استمرار معاناتهم بدأ أقاربهم يتواصلون معي بحذر شديد ويصبون اللعنات على محمد بن سلمان. قالت إحداهن، وكانت من عائلة سعودية مشهورة في مجال الأعمال، إنها لم تصلها أي أخبار عن قريبها المعتقل لعدة أسابيع إلى أن اتصل فجأة وقال لها "أنا بخير"، لكنه أوحى إليها بأنه لم يكن بخير على الإطلاق. انتهت المكالمة بينهما بعد ثلاث دقائق.

رأت هذه المرأة في حملة محمد بن سلمان مجرد ذريعة للاستيلاء على أموال المملكة والتحكم بها لتحقيق أهدافه الشخصية ويعمل في نفس الوقت على تشويه سمعة كل من تسول له نفسه الوقوف في وجهه.

وقالت لي: "إنه معتوه وحاقد، يسعى لتدمير الناس، لا يرغب في رؤية أحد يحمل اسماً كريماً سواه. إنه شيطان، بل إن الشيطان يتعلم منه."

خلال سنوات قليلة فقط، بات محمد بن سلمان القوة المهيمنة في مملكة آل سعود، وغدا واحداً من أكثر زعماء العالم ديناميكية ومن أكثرهم وضعاً تحت المجهر.

لم يكن بروزه ليخطر ببال أحد، فقد قضى جل عمره ضائعاً في جمهرة من الأمراء الأكثر ثراء وخبرة منه، وكانت رتبته متدنية داخل عائلة تأسست على الأقدمية. إذن كيف تمكن من إنجاز ذلك؟ هذه هي الحكاية التي يرويها هذا الكتاب.

قد يثبت محمد بن سلمان أنه أهم حاكم جاء على مملكة آل سعود منذ أن أسس جده المملكة قبل ثمانية عقود وجعل منها شريكاً مهماً للولايات المتحدة. يأتي بزوغ نجم محمد بن سلمان بعد ستة عقود من وفاة جده، وذلك في حقبة كان أغنى بلد في العالم العربي يواجه فيها تهديدات بالغة الخطورة. كان سعر النفط في حالة من الانهيار السريع، الأمر الذي أنهك اقتصادها. وكان ثلثا مواطنيها دون سن الثلاثين عاماً، وكان هؤلاء الشباب يتدافعون على الوظائف القليلة المتاحة ويئنون تحت وطأة قيود اجتماعية صارمة. وضمن الدائرة الأوسع للشرق الأوسط، كان جهاديو تنظيم الدولة الإسلامية يهيجون في العراق وسوريا ويقومون بالتفجير داخل المملكة.

وكانت تفاقم من هذه التحديات شكوك حول مدى التزام أهم حلفاء المملكة، أي الولايات المتحدة. لم يكن الرئيس باراك أوباما يهيم حباً بالمكان. وكان قبل أن يصبح رئيساً قد قلل من أهمية مملكة آل سعود ناعتاً إياها بعبارة "ما يسمى الحليف"، وانتقد تصديرها للوهابية التي قال إنها تسعّر من التزمت في العالم الإسلامي. ثم مضت إدارته لتبرم صفقة نووية مع إيران بينما أجاز الكونغرس تشريعاً يسمح للأمريكيين بمقاضاة آل سعود بخصوص الهجمات الإرهابية التي وقعت في الحادي عشر من سبتمبر / أيلول من عام 2001، وذلك أن خمسة عشر من خاطفي الطائرات، إضافة إلى زعيمهم أسامة بن لادن، كانوا سعوديين. مثل كل من الإجراءين صفعة مؤلمة للمملكة التي كانت تعتمد على الولايات المتحدة لحماية أمنها وأنفقت المليارات من الدولارات على الأسلحة الأمريكية، وكانت تتوقع في المقابل حداً أدنى من الولاء.

انقض محمد بن سلمان على هذه المشاكل وعلى غيرها يريد علاجها، فدفع بالمملكة في حرب داخل اليمن، وأطلق خطة لإعادة تنظيم الاقتصاد، وسعى لاستمالة المدراء التنفيذيين في وول ستريت وهوليوود وسيليكون فالي، ثم خطف رئيس وزراء بلد آخر، وأقام علاقة قوية وغير متوقعة مع الرئيس دونالد ترامب وصهره جيرالد كوشنر. أما داخل المملكة فذهب ينزع أنياب رجال الدين، ويفتح دور السينما وأماكن الحفلات الموسيقية، ويدوس على التقاليد، ويحبس أفراداً من العائلة الملكية – بمن فيهم والدته، ويؤسس لسلطوية تكنولوجية يتمكن من خلالها من زرع جواسيسه داخل هواتف الناس، ومن التلاعب بوسائل التواصل

الاجتماعي، ثم أمر بتنفيذ جريمة قتل بشعة هزت العالم بأسره (قتل خاشقجي).

تصدر صعود محمد بن سلمان اهتمام المتابعين عبر العالم

بينما كانت ثروة العالم تتركز في أيدي قلة قليلة من الناس، راح السلطويون الشعبويون يستخدمون الخطاب القومي لحشد شعوبهم بينما يغلقون في نفس الوقت المنافذ أمام المعارضة. ومثله في ذلك مثل الحزب الشيوعي في الصين والطغاة الصاعدين من مصر إلى المجر، لم ير محمد بن سلمان حاجة لأي رقابة على سلطته، بل بادر بسحق كل ما يهددها، سواء كان تهديداً محسوساً أو غير ذلك، وكان شعار حقبته "السعودية أولاً"، وما كان ليسمح لشيء أن يحول دون أن يجعل مملكته عظيمة مرة أخرى، ولكن بمواصفاته هو.

ارتفعت الموجة القومية في الدول الغربية أيضاً. لقد نجم عن تصويت البريطانيين لصالح الخروج من الاتحاد الأوروبي وانتخاب الرئيس ترامب في الولايات المتحدة انكفاء مواطني وحكومات تلك الدول على أنفسهم، مما أزاح كثيراً من العبء عن حلفائهم السلطويين. كما أثبت هذان الحدثان أن الحقيقة في السياسة أقل أهمية من العواطف التي يمكن للمرء أن يثيرها عبر وسائل التواصل الاجتماعي. كان ذلك هو الدرس الذي تعلمه جيداً محمد بن سلمان ووضعه قيد التنفيذ في مملكته.

محمد بن سلمان شخصية مثيرة للشقاق إلى حد كبير، فأنصاره يشيدون به على أنه المصلح الذي طال انتظاره ليغير قواعد اللعب في منطقة تتوق للتغيير بينما يندد به خصومه باعتباره طاغية شديد القسوة قيد التشكل. تراه داخل مملكة آل سعود عملاقاً يطل وجهه من كل مكان – تجد صوره مطبوعة على أغلفة الهواتف الخلوية وتتدلى من فوق مداخل مجمعات التسوق الكبيرة – ويتم الترويج من قبل الموالين له ومن قبل الصحفيين لكل مبادرة من مبادراته على أنها ضربة معلم. إلا أن كثيراً من أموره مايزال يكتنفها الغموض. فعلى أثر موجات التوقيف والاعتقال امتنع الناس عن الكلام حول خلفيته، وعن مناقشة الحكمة من خططه أو حول قدرته على إنجازها. اشتد في بعض الدوائر الحماس له بعد أن رفعت القيود عن بعض مناحي الحياة الاجتماعية وبدأت النسوة في الحصول على وظائف لم تكن تحلم بها أمهاتهن. ولكن الخوف استشرى وتمكن من الناس لدرجة أن مجرد بوست عفوي في السوشال ميديا أو تعليق لأحدهم بين الخواص يمكن أن ينجم عنه إلقاء القبض على المرء أو يؤدي به إلى السجن، مما جعل كثيراً من الناس يحجمون عن الحديث على الهاتف، وبعض الناس إذا التقوا يعمدون إلى وضع هواتفهم الخلوية داخل الثلاجة.

محمد بن سلمان هو سبب الظاهرتين، وهما مدفوعتان بتوجهين سلطت عليهما الأضواء في أواخر 2017 عندما سحر بكلامه ضيوف مؤتمر الاستثمار وفي نفس الوقت سجن الناس داخل الريتز. تجده عازماً على منح السعوديين مستقبلاً باهراً ومزدهراً، وفي نفس الوقت لديه الاستعداد التام لسحق خصومه. في حال اجتماعهما بجرعات مختلفة، يمكن لهاتين الصفتين أن تكونا بمثابة الموجه لسلوكياته وأعماله لسنوات طويلة في المستقبل.

قد يعتبر البعض أن تأليف كتاب عن زعيم شاب قد يحكم بلاده لعقود قادمة عمل يتنافى مع الحكمة أو ينضوي على تهور. فليكن معلوماً أن هذا الكتاب لا يسعى لسرد حكاية بن سلمان الكاملة، وإنما يحكي قصة صعوده العجيب والآثار المترتبة عنه على المملكة وعلى علاقاتها مع الولايات المتحدة ومع الشرق الأوسط بشكل عام. أما مسار الحكاية فيما بعد فهذا ما يقرره محمد بن سلمان نفسه. وفيما يلي بداية الحكاية.